

مكتبات المدينة المنورة

للأمير شكيب أرسلان^(١)

أشهر المكاتب العمومية في المدينة المنورة وأحفظها وأبدعها نظاماً مكتبة
المرحوم عارف حكمت بك شيخ الاسلام فإنها لا تقل عن سبع عشرة مكتبة
عمومية مشرعة الأبواب للطلبة والناسخ والمطالعين . تجد الجاويرين يقتبسون من
أنوارها ويعشون من كل حذب الى ضوء نارها .
وأهم مكتبة بعد مكتبة عارف حكمت هي المكتبة المحمودية المنسوبة الى
المرحوم السلطان محمود العثماني وهي بجانب الحرم الشريف أيضاً الى الغرب
كما ان مكتبة عارف حكمت هي منه الى القبلة .
ثم المكتبة الحميدية المنسوبة الى السلطان عبد الحميد الأول رحمه الله .
ثم مكتبة بشير آغا وهي مهجلة نوعاً لا يجدها الانسان مفتوحة الأبواب
كما أراد كغيرها من دور الكتب .
ثم مكتبة الصاقزلي وهي شبيهة من هذا الوجه بمكتبة بشير آغا .
ثم مكتبة العرفانية وهي أشبه بما تقدمها .
ثم مكتبة أمين باشا . وهي من أبداع المكاتب وأتقها ترتيباً مشرعة الأبواب
كل يوم الى آخر النهار وهي ثلاثة ثلاثة مع المكتبة المحمودية والمكتبة العرفانية .
ثم مكتبة رباط سيدنا عثمان رضي الله عنه .
ثم مكتبة ناظر الكيلة وهي مهجلة تفتح أبوابها مرتين كل شهر .

(١) كتب الأمير رحمه الله هذه المقالة خلال زيارته المدينة سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م
اي قبل الحرب العالمية الأولى بأشهر .

- ثم مكتبة مدرسة ثروت وهي قريبة الحال من التي تقدمتها .
 ثم مكتبة مدرسة الشفا وهي أيضاً على نطمها .
 ثم مكتبة مدرسة قره باش وقد صرت اليها عدوى الامل وطار اليها
 غبار النسيان من جاراتها .
 وأهم أسباب عدم الاعتناء ببعض هذه المكاتب هو عدم وفاء معاشات
 قيمتها بحيث يضطرون الى تعاطي أشغال أخرى .
 ثم مكتبة حسين آغا وهي دار كتب صغيرة مختصة بمدرسة حسين آغا
 منتظمة مفتوحة كل يوم .
 ثم مكتبة مدرسة احسان وهي أيضاً مفتوحة أبداً .
 ثم مكتبة الشيخ أحمد البسطي وهي في بيت هذا الشيخ تحت نظر ولده
 محمد حسن افندي مشرعها جار لكل وارد .
 ثم مكتبة حوش العريضة في بيت السيد حمل الليل وهي وقف على
 المستفيدين أيضاً .
 ثم مكتبة الشيخ مظهر وهي في تكية الشيخ مظهر مختصة بسكان التكية .
 فأنتم ترون ان في بلدة سيد الأنام سبع عشرة مكتبة عمومية فيها عشرات
 ألوف من الكتب القيمة ومن التصانيف الممتعة ونوادير الأسفار النفيسة وانه
 مما ازداد عمران هذه البلدة المقدسة (وهي الآن تناهز ١٥٠ الف نسمة مع
 ضواحيها) فان فيها من المكاتب ما ينفع الغلة ويزيح العلة .
 ولا يمكنني ان اذكر جميع ما اطلمت عليه فيها من الأسفار لأن ذلك
 شيء يطول جداً فضلاً عن كوني انما اطلمت على شيء لا يكاد يكون
 شعرة من جبل أو حبة من رمال الدهناء .
 وماذا عسى أن يطالع الانسان في نحو اربعين يوماً مع وفرة الأشغال والكتابات
 والزيارات في مكاتب تفتي الأعمار الطوال قبل الاتيان على قطرة من غدرانها .

انما ما لا يدرك كله لا يترك جله : فما أنا ذا أذكر بعض نوادر من الكتب رأيتها في مكتبة شيخ الاسلام :

نسخة من المصحف الشريف على رق نعم بخط اندلسي بارع وهي كاملة مذهبة مكتوب في آخرها : كتبها في المربة (بالأندلس) عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن مرزوق بن احمد بن مكائس البطليومي في الثاني عشر ذي الحجة من سنة ٤٨٨ .

ونسخة غير تامة ذات أجزاء ماثورة على رق غزال من تفسير القرآن لخير الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنه كانت النهاية من كتابتها في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة عشر وثلاثمائة .
وكتاب المحاضرات والمحاورات للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي بخط الامام السيوطي نفسه .

وافعال ابن القوطية ابي بكر محمد بن عبد العزيز كتبت في الاسكندرية سنة ٤٧٩ يقول في آخرها : تم جميع الكتاب بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد وآله وسلم وكتبه محمد بن ابراهيم بن مكي بن محسن القيرواني لنفسه بثغر الاسكندرية حرصه الله وكان الفراغ منه في العشر الآخر من شهر ذي الحجة الذي من سنة تسع وسبعين واربعائة فرحم الله من قرأ فيه ودعا له .
وبعد هذه الكتابة كتابة أخرى هذا نصها :

قرأت جميع كتب الأفعال الثلاثية والرابعة تأليف ابي بكر محمد بن عبد العزيز ابن القوطية من أوله الى آخره . وهو جزآن هذا الجزء ثانيهما من أوله الى هنا وآخر قبله وهو الأول في مجالس آخرها الثالث والعشرون من شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وسمعت على الشيخ الامام العلامة الفاضل المقرئ الخطيب شرف الدين بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن حميد البلنسي أطل الله بقاءه وأخبرني به عن الشيخ الامام ابي الجود غياث بن فارس بن علي اللخمي الضرير رحمه الله

عن الشريف الخطيب ابي الفتوح ناصر بن اسماعيل بن الحسن الحسيني الرندي
عن الشيخ ابي القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي عن ابي بكر بن البر
عن ابي محمد عبد العزيز بن محمد بن عمر القوطية عن ابيه ابي بكر محمد بن
القوطية وكتبه يوسف بن عبد الصمد بن يوسف بن منصور بن يوسف السعدي
في تاريخه .

ومن النفائس التي اطلعت عليها كتاب التشبيهات لأبي اسحق بن أبي عون
البغدادي أوله بعد البسملة : زادك الله في الآداب رغبة وللعلوم محبة ووفقك
للحجة وذلك على المحجة وأعانك على طلبك بالرشد وأظفرك بالفرض عند الفحص
سألني أعزك الله ان اثبت لك آياتا من تشبيهات الشعراء الواقعة وبدائعهم
فيها الظريفة وقد تقدم الناس أعزك الله في اختيار الشعر وتمييزه غير انهم لم
يصنفوه ابواباً وذلك ان الشعر مقسوم على ثلاثة انحاء منه المثل السائر كقول الأخطل:
(فأقسم المجد حقاً لا يفارقهم حتى يحالف بطن الراحة الشعر)

ومنه التشبيه الواقع النادر كقول امرئ القيس :

(كأن قلوب الطير رطباً وياساً لدى وكرها العناب والحشف البالي)

ومنه الاستعارة الغريبة كقول الطرماح :

(فقلت لها يا أمّ يضاء انه هريق شباني وامثن أديمي)

وقول الحصين :

(قد ناضلوني فأبدوا من كنانتهم مجداً تليداً ونبلاً غير انكاس)

وكتاب التشبيهات هذا مكتوب بخط مشرقى انتهى يوم الثلاثاء في النصف

من رجب سنة ٢٦٦ وقد جاء في آخره :

هذه أكل نسخة وقعت في التشبيهات لأبي اسحق البغدادي . ورأيت

في بعضها انه بكنى ابا عمرو ابن ابي عوف الكاتب . وهذه التشبيهات

م (٢)

المشرقية قد عورضت بتشبيهات اندلسية لا ترجع عنها والتمسها فإن فيها
ان شاء الله كمال الفائدة .

ومن هذه النوادر الثمينة بقديم عهدها ونفاستها مضمونها طبقات الشعراء
لمحمد بن سلام بن عبيد بن سالم الجمحي مولى خلم توفي في البصرة سنة ١٣١ .
أول الكتاب للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر اصناف العلم
والصناعات منه ما تتقفه العين ومنه ما تتقفه الأذن ومنه ما تتقفه اليد ومنه ما يتقفه
اللسان اش وخط الكتاب قديم جداً أيضاً .

